

مفاهيم القرآن

(7) إنَّ هذه الميزة (البعد اللامتناهي للقرآن) لم تكن أمراً خفياً على بلغاء العرب في صدر الرسالة، وهذا هو الوليد بن المغيرة ريحانة العرب، يشيد بالقرآن ويصفه بقوله: واللّه لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنَّه ليعلو وما يعلى عليه. (1) إنَّه سبحانه خصَّ نبيّه بتلك المعجزة الخالدة، وما هذا إلاَّ لأنَّ الدين الخالد يستدعي معجزة خالدة، ودليلاً وبرهاناً أدياً لا يختص بعصر دون عصر، والنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم - وإن جاء بمعاجز ودلائل باهرة لم ترها عيون الأجيال المتعاقبة ولكن عوضهم اللّه سبحانه بمعجزة هي كشجرة مثمرة تعطي أكلها كلَّ حين بإذن ربّها، وينتفع كلَّ جيل من ثمارها حسب حاجاته، وإلى هذا يشير الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حين سأله السائل، وقال: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدرس إلاَّ غصاصة؟ فقال الإمام: "إنَّ اللّه تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلِّ زمان جديد، وعند كلِّ قوم غصّ" إلى يوم القيامة". (2) اهتمام المسلمين بالكتاب العزيز ارتحل النبي - صلّى الله عليه وآله وسلّم - وترك بين الأُمة تركتين ثمينتين، إحداهما: الكتاب، والأُخرى: العترة. وقد أكبَّ المسلمون بعد رحيله على قراءة القرآن وتجويده وكتابته ونشره بين الأُمة. وأسَّسوا علوماً كثيرة خدموا بها القرآن الكريم، كما أنَّهم وراء ذلك اهتموا

1 . مجمع البيان: 5/387، طبع صيدا، وقد سقط عن النسخة لفظة "عليه" من قوله: "وما يعلى". 2 . البرهان في تفسير القرآن ، للسيد البحراني: 1/28.